كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام حق تستثقله العوام وان كان صدقا ويصير
مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام وتعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا
ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون
فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول
اذا انعم الله على بهذه النعمة ويقضي بهذه الحكمة فاقبضها لنشارك في نفعها اخواني المسلمون
فهذا ايضا مما يقع فيه الخوف والفتنة فحكمة حكم الولايات ممن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل
بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يترك ويجاهد فيه الى ان يزن نفسه وتقوى في الدين منته
ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت فهما حكم بذلك على اهل العلم
تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل عامة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب
الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها
بحقها وقال نعم المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لتعطل الدين
والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم تنفعنا مع ذلك
وضرب عمر رضي الله عنه ابي بن كعب حين رآى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول اي يتبعه المسلمين وكان
يقرا عليه القران فنهى من ان يتبعوه وقال عمر رضي الله عنه في ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع
وعمر رضي الله عنه كان يخطب بنفسه ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر رضي الله عنه ان يعظ
الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال المنتهى من ان انصح المسلمين فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ
الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء الخلافة مما يحتاج اليه في
دينهم الناس كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما
قول القايل نفسك عن ذلك يودي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا
لم يود الى تعطيل القضا بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم
تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة
لافلتوا من الحبس وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا
خلاق لهم فلا تشتغل قلبك بامر الناس فان الله تعالى لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم ان اتفق هذا اذا كان في
البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التنحي عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا
يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث
حسن كلامه وحسن سمته من الظاهر وتجميله للعوام انه انما يريد الله تعالى بوعظه وانه زهد
للدنيا ونفر عنها فلا يمتنعه ونقول اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول

اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قايم به غيره ولو واظب وعرضه الجاه
فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع عندنا احب من سلامة دينه وحده فيجعله فدى للقوم
ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم
ثم الواعظ هو الذي ترغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما اخذته الوعاظ في هذه
الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المعروفة بالاستعارات مما ليس فيه تعظيم لامر
الدين والتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتحريه على المعاصي بطمار ان النكت فيجب اجلال البلد
منهم فانهم نواب الدجال وخلفا الشيطان انما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يتعظ
في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه من كتاب العلم من الوعيد الوارد
في حق العلماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوايله ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء
تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوءا ما تحكمون
تترتبون بالقول والاماني وتعلمون بالهوى وما يغني عنكم ان تنفوا جلودكم وقلوبكم دسمة بحق اقول لكم
لا تكونوا كالمحل يخرج الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا ينقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تنكس من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت انفسكم والعمل تحت اقدامكم بحق
اقول افسدتم آخرتكم بصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعقلون ويلكم
حتى متى تضعون الطريق للداخلين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهملا
مهملا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحشو مظلم كذلك لا يغني
عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة مظلمة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار
كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم
بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يحاسبكم
بسوء اعمالكم فقد روى الحرث المحاسبي رحمه الله هذا الحديث بعضه بكتبه ثم قال هؤلاء علماء
السوء هم شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الاخرة
وادلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الاخسرون فان قلت فهذه الافات
ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغايب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعى الى هدى فاتبع عليه
كان له اجره واجر من اتبعه الى يوم القيامة من فضايل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك
مراياة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن اتم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)